(9)

أثر الفكر العقليّ على روّاد الحركات الإصلاحيّة الاجتماعيّة

سعد الغري[1]

الخلاصة

هٰذا البحث عبارةٌ عن محاولة لتبيين الخطوط العامّة للإصلاح اعتمادًا على قدرة العقل الّذي هو ملكة إعمال التفكير، فالطريق الأوّل للإصلاح إنّما يكون عن طريق الالتفات إلى القوانين العقليّة وتقوية ملكة التفكير للوصول إلى رؤيةٍ عقليّةٍ برهانيّةٍ واقعيّةٍ تنظّم السلوك البشريّ فردًا ومجتمعًا، وبالتالي الوصول إلى حلم الحكماء في المدينة الفاضلة؛ ولأجل أن لا يكون البحث تنظيريًّا فحسب؛ ذكرت شواهد تؤيّد إمكانيّة هٰذه المسألة، فإنّ أدلّ دليلٍ على الإمكان الوقوع، فأشرت الى علمين معاصرين استطاعا تحقيق أهدافٍ عظيمةٍ من خلال السير الفكريّ الرصين والسلوك العمليّ التكامليّ؛ الأوّل السيّد الخمينيّ الّذي استطاع تأسيس وبناء معالم المدينة الفاضلة خارجيًّا، والثاني السيّد محمدباقر الصدر الّذي سار على النهج نفسه ووصل إلى الإصلاح من حيث النظريّة وأمّا تطبيقه عمليًّا فلم يستطع لعروض الموانع، فالعنصر الأساس في مثل هٰذه الحركات الإصلاحيّة هو البناء الفكريّ الرصين الّذي تولد عنه رؤيةٌ فلسفيّةٌ ناضجة، والإيمان الراسخ بتلك الرؤية، ولا أنفي وجود أسبابٍ أخرى، ولٰكنّها تفيد ما أحاول إثباته بأنّ هناك دورًا مهمًّا للفكر الفلسفيّ في هٰذه الحركات، بل وكلّ حركةٍ إصلاحيّةٍ وخصوصًا في الحركات الإصلاحيّة السياسيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الفكر الفلسفيّ ـ الحركات الإصلاحيّة ـ السياسة ـ السيّد الخمينيّ ـ الشهيد الصدر

---

(1) الدكتور سعد الغري، العراق، مدرّسٌ في قسم الفلسفة، جامعة المصطفى العالميّة.

almarssad@gmail.com

The Impact of Mental Thought on the Pioneers of Social Reform Movements

Dr. Saad Al-Ghurri [(1)]

Abstract

This research is an attempt to clarify the general lines of reform depending on the ability of the mind, which is the faculty of thinking. The first way to reform is by paying attention to mental laws and strengthening the faculty of thinking to reach a realistic, evidentiary mental vision that organizes human behavior as an individual and society, and thus reaching the dream of the philosophers, in the utopia. In order that the research is not only theoretical, I mentioned evidences that support the possibility of this issue, if the evidence is that it is possible, I referred to two contemporary scholars who were able to achieve great goals through a sober intellectual life and an integrative practical behavior. The first is Imam Khomeini, who was able to establish and build the landmarks of the utopian city externally, and the second was Seyid Muhammad Baqir al-Sadr, who followed the same approach and reached reform in terms of theory, but as for its practical application, he was not able to overcome the obstacles. The basic element in such reform movements is the pure intellectual construction from which a mature philosophical vision is born, and a firm belief in that vision, I do not deny the existence of other reasons, but it is indicative of what I am trying to prove that there is an important role for philosophical thought in these movements, and in every reform movement, especially in political reform movements.

Key Words: philosophical thought, reform movements, politics, Imam Khomeini, Shahid al-Sadr

---

(1) Lecturer at the Department of Philosophy, Al-Mustafa International University, Iraq

المقدّمة

خلق الله ﷻ الانسان ولديه قدراتٌ كامنةٌ وفّرها له للوصول إلى طريق التكامل، الّذي هو غاية الخلقة والهدف منها، ولٰكن نرى أنّه يوجد لدى كلٍّ منّا منهجٌ خاصٌّ تلقّاه من مصدرٍ أو مصادر متعدّدةٍ (كالمجتمع، أو من الّذي أملته عليه المدارس الّتي درس فيها، أو من خلال تقليده لتأثّره ببعض الشخصيّات، أو لأسبابٍ أخرى)، اختلف تبعًا له سلوكه الخاصّ، فصاحب المصدر المادّيّ دائمًا ما تكون توجّهاته مادّيّةً وحسّيّةً فلا يؤمن بشيءٍ خارج نطاق هٰذين الأمرين، وكذٰلك في بقيّة المصادر الّتي تذكر عادةً في نظريّة المعرفة (الإشراقيّة والإخباريّة والعقليّة و...).

وليس معنى ذٰلك أنّنا ننكر أهمّيّة بقيّة المصادر، ولٰكن ينبغي أن نبيّن الأولويّة، فإنّ المبتدئ إذا أراد السلوك ووجد أمامه عدّة اختياراتٍ فقد يقع في الحيرة والتردّد، أو قد يختار منهجًا يؤدّي إلى نتائج غير صالحةٍ؛ لذا لا بدّ أن نبيّن ما يبتدئ السالك به أوّلًا، كما ونبيّن أن الحياة إن نظرنا إليها كصورةٍ جميلةٍ تشاركت المصادر جميعها في رسمها فلا يخلو مصدرٌ من تلك المصادر المعرفيّة من التأثير عليها، تحت منظّمٍ واحدٍ مهمٍّ وهو العقل.

فحينما نبيّن للمتعلّم من البداية المنهج الأفضل اتّباعه كي يصل إلى الكمال المنشود، نكون بذٰلك قد وفّرنا عليه وقتًا كثيرًا وجهدًا كبيرًا، فمن الجيّد أن يتعرّف الإنسان منذ البدء ـ وقبل استحكام رأيه وتمسّكه به، وبالتالي لا يمكن تغيير نهجه أو نمط تفكيره ـ على المناهج المؤثّرة في سلوكه وبصورةٍ قطعيّةٍ، وهٰذا البحث هو عبارةٌ عن كلمةٍ ضمن كتاب الحياة الّذي يتمّ فيه بيان واحدٍ من المناهج الفكريّة الّتي تؤثّر على السلوك الإنسانيّ.

فنحاول هنا بيان واحدٍ من الأسس المهمّة الّتي تؤدّي إلى الإصلاح بمختلف جوانبه لا سيّما السياسيّ منه؛ ألا وهو الفكر الفلسفيّ القائم على

البرهان، والمبتني على القضايا البيّنة والمبيّنة وما هي الآثار السلوكيّة لهذا المنهج وثمراته.

أوّلًا: تعريف المفاهيم

قبل الدخول للبحث لا بدّ من السير على ما جرت عليه سيرة الحكماء من الابتداء أوّلًا بالمباحث التصوّريّة؛ ليتمكّـن القارئ من معرفة المصطلح الّذي ورد في البحث، وكما هو معروفٌ أنّ ثبوت شيءٍ لشيءٍ فرع ثبوت المثبت له، ونحن حينما نريد الحكم على قضيّةٍ تصديقيّةٍ لا بدّ لنا أوّلًا من معرفة المراد من مفرداتها لكي نحكم عليها سلبًا أو إيجابًا، فإنّ التصوّر قبل التصديق.

1ـ المنهج العقليّ البرهانيّ

هو المنهج الّذي يعتمد على القضايا البدهيّة الأوّليّة في بنيان الأساس المعرفيّ، وبه يرتفع الصرح المعرفيّ، وتكرّس الأدوات الأخرى للحصول على المقدّمات، ويستخدم البرهان كمنهجٍ أساسٍ لتحصيل القضايا، وبقيّة الأدوات كالوحي والحسّ والتجربة هي أدواتٌ لا يمكنه الاستغناء عنها لجلب المعلومات الخارجيّة الّتي لا يستطيع العقل بنفسه الوصول إليها، فمقوّمات المنهج العقليّ البرهانيّ تكون بحاكميّة المنهج العقليّ على بقيّة المناهج، فيستفيد من بقيّة المناهج كلٌّ بحسبه وبحسب حدود حجّيّته.

فتعتمد على الحدّ أو ما يقوم مقامه لكشف التصوّرات، وعلى البرهان لكشف التصديقات، فتكون أسسها المعرفيّة ورؤيتها الكونيّة مبتنيةً على أسسٍ رصينةٍ تنطلق من القضايا البدهيّة والأوّليّة.

إنّ كلّ حجّيّةٍ تقدّمت للأدوات السابقة لا بدّ أن تكون مستقاةً ممّا له

الحجّيّة بالذات، وليس لجميع تلك الأدوات هٰذه الصفة والصلاحية، أمّا العقل فله ذٰلك وله حجّيّةٌ ذاتيّةٌ (بمعنى أنّ كاشفيّته للواقع لا تحتاج إلى غيره لإثبات حجّيّتها ويكتسب مشروعيّتها منه)، فهو دليلٌ على كلّ دليلٍ، ويعطي لبقيّة المناهج حجّيّتها وحدودها؛ لأنّ الخصائص الذاتيّة للبرهان كونه مؤلّفًا من صورةٍ بدهيّةٍ ومادّةٍ يقينيّةٍ وتعطي نتيجةً قطعيّةً، فالحاكم المطلق في كلّ القضايا هو العقل، ولٰكن تارةً يحكم بنفسه، وأخرى بالاستعانة بغيره كالحسّ والتجربة، ومرّةً يكون حكمه قطعيًّا وأخرى يكون ظنّيًّا نتيجةً لاختلاف الموادّ المستخدمة في صورته، وعلى ضوئه تمّ تقسيم الصناعات الخمس. جاء في موسوعة مصطلحات المنطق:

«يلزم ضرورة أن يكون العلم البرهانيّ من قضايا صادقةٍ، وأوائل غير ذات وسطٍ، وأن يكون أعرف من النتيجة، وأكثر تقدّمًا منها، وأن يكون علّلها، ومن كان عازمًا على اقتناء علمٍ برهانيٍّ، فقد يجب عليه لا أن يكون تعرّفه وتصديقه بالمبادئ فقط أكثر من تعرّفه وتصديقه لما يتبيّن منها. والعلم البرهانيّ هو الحاصل لنا من طريق أنّه يحصل لنا برهانه. وكلّ علمٍ برهانيٍّ هو في ثلاثة أشياء: أحدها الأشياء الّتي نضع أنّها موجودةٌ (وهي ذٰلك الجنس الّذي نظره في التأثيرات الموجودة له بذاتها)؛ والعلوم المتعارفة الّتي يقال لها عاميّةٌ، (وهٰذه هي الأوائل الّتي منها يبيّنون)؛ والثالث التأثيرات، وهي تلك الّتي يأخذون أخذًا على ما ذا يدلّ كلّ واحدٍ منها، وفي بعض العلوم لا مانع يمنع أن نصدّق بشيءٍ شيءٍ من هٰذه. والعلم البرهاني خاصّته لا تقبل التغيّر و لا الفساد ولا يحضر ببال المعتقد له إمكان مقابله ما دام المعتقد له صحيح العقل موجودًا» [فريد جبر و...، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، ص563 و564].

ممّا تقدّم يتّضح أنّ المراد من المنهج العقليّ هو ما يشتمل على الخصائص

التالية:

ـ أنّه مؤلّفٌ من قضايا يقينيّةٍ صادقةٍ بيّنةٍ أو مبيّنةٍ.

ـ صورته يقينيّةٌ.

ـ أنّه يعطي الحجّيّة لغيره، وحجّيّته ذاتيّةٌ.

ـ أنّه يستعمل لمعرفة اليقين بالوجود و السبب معًا.

ـ أنّه يطلب منه ثلاثة أمورٍ: أحدها الأشياء الّتي نظنّ أنّها موجودةٌ. والعلوم المتعارفة الّتي يقال لها عامّيّةٌ وهٰذه هي الأوائل الّتي منها يبيّنون. والتأثيرات، وهي تلك الّتي يأخذون أخذًا على ما ذا يدلّ كلّ واحدٍ منها، وفي بعض العلوم لا مانع يمنع أن نصدّق بشيءٍ شيءٍ من هٰذه.

ـ أنّ العلم الحاصل من البرهان لا يقبل التغيّر ولا الفساد، ولا يحضر ببال المعتقد له إمكان مقابله ما دام المعتقد له صحيح العقل.

2ـ تعريف الحركة الإصلاحيّة السياسيّة

الحركة من الأمور الواضحة، وأوضحها الحركة الأينيّة، أي الانتقال من نقطةٍ إلى نقطةٍ أخرى، كحركة الشخص اليوميّة من البيت إلى المدرسة، وهو ما يسمّى بالحركة، قال الجرجانيّ:

«(الحركة) الخروج من القوّة إلى الفعل على سبيل التدريج، قيّد بالتدريج ليخرج الكون عن الحركة، وقيل هي شغل حيّزٍ بعد أن كان في حيّزٍ آخر، وقيل الحركة كونان في آنين في مكانين كما أنّ السكون كونان في آنين في مكانٍ واحدٍ» [الجرجانيّ، التعريفات، ج 1، ص 37].

ولٰكن في الاصطلاح الفلسفيّ لها عدّة معانٍ، كما نقل صاحب كتاب "الفارابيّ في حدوده ورسومه"، حيث قال: «هي ما كانت من شيءٍ إلى شيءٍ وفي مسافةٍ وفي زمانٍ، وكانت عرضًا في جوهرٍ جسمانيٍّ، وكانت توجد عن

محرّكٍ. إنّ ماهيّة الحركة إنّما هي بالشيء الّذي يحصل بالحركة وبالغاية الّتي إليها ينتهي المحرّك بالحركة. ليس للحركة حدٌّ لأنّها من الأسماء المشكلة؛ إذ هي مقولةٌ على النقلة والاستحالة والكون والفساد؛ ولٰكنّ رسمها أن يقال إنّها خروج ما هو بالقوّة إلى الفعل... وليست الحركة من الأسماء المشتركة. لا ابتداء زمانيّ للحركة، ولا انتهاء زمانيّ لها» [آل ياسين، الفارابيّ في حدوده ورسومه، ص 210 و211].

والمراد من الحركة هنا ـ بقطع النظر عن المصطلح واللغة ـ التحوّل من نقطةٍ إلى أخرى في تغيير النظام عبر تعقّلٍ، وتشخيص الفساد فيه، ثمّ إيجاد الداعي الى الحركة، ثمّ القيام بما فيه المصلحة نحو الغاية، والّتي هي الإصلاح، وهي تتطابق مع مفهوم التغيير الاجتماعيّ.

والحركة في لغة السياسة هي التيّار العامّ الّذي يدفع طبقةً من الطبقات أو فئةً اجتماعيّةً معيّنةً إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعملٍ موحّدٍ لتحسين حالتها الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة أو تحسينها جميعًا. [الكيالي، موسوعة السياسة، ج 2، ص 222 و223]

فمرادنا من الحركات الإصلاحيّة هنا الحركات الموصلة إلى ما يصلح الخطأ ويملأ الخلأ وصولًا إلى الجانب الإيجابيّ، سواءٌ أكانت عبر تدخّلٍ في النظام السياسيّ أم لا ، فوصفناها بالإصلاحيّة لكونها تحدث إصلاحًا نوعيًّا في بعض المجالات، وتختلف باختلاف متعلّق الإصلاح.

فالإصلاح السياسيّ يتجسّد بتغيير للوضع الراهن عبر وضع خططٍ تقتضي إنعاش البلد من ناحية إدارته والنهوض بالوضع السياسيّ، فترتقي على أثره الأمّة، ويسود فيها الأمان والعدل، وكذٰلك محاولة النهوض بالأمّة لتصل إلى العدالة السياسيّة عن طريق وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، بما يلبّي حاجات الأمّة وطبيعة تفكيرها وما تعتمد عليه.

ثانيًا: المباني العقليّة للإصلاح السياسيّ

طالما حلم الكثير من المصلحين بالوصول إلى مجتمعٍ مثاليٍّ ينعم الجميع فيه بالعيش الهادئ المطمئنّ، فمنهم من صاغ نظريّةً من دون أن تتجسّد في الواقع، ومنهم من اجتاز هٰذه المرحلة وحاول فعل أمورٍ واقعيّةٍ كي يصل إلى الإصلاح، وقد يبدو لأوّل وهلةٍ أن ذٰلك الأمر (الإصلاح) أشبه بالأمور المثاليّة، ولا يمكن أن يوجد واقعًا؛ بيد أنّ ذٰلك ليس ببعيدٍ وليس مخالفًا للواقع؛ فإنّ العيش الهادئ المستقرّ إنّما يكون عبر إيجاد قانونٍ تامٍّ ينعم به الناس، ومطبِّقٍ للقانون، وممتثلون له، فمن يحاول إصلاح المجتمع يجب عليه أوّلًا أن يتعرّف عليه، فإنّ عدم معرفته قد تؤدّي بالمصلح إلى الإفساد وهو لا يدري، وبعد التعرّف عليه يحاول معرفة المشاكل الواقعيّة الّتي تصيبه، واستقراءها ثمّ إيجاد الحلول لها بحسب معرفته، وبحسب المعلومات الّتي استقاها من رؤيته، ومن الأسس الّتي بنى عليها أيديولوجيّته وثقافته.

إنّ المجتمع وبما أنّه متكوّنٌ من أسرٍ، وكلّ أسرةٍ متكوّنةٌ من أفرادٍ، فإن أردنا إصلاح المجتمع لا بدّ أوّلًا من إيجاد الإصلاح في الأسر والعائلات أوّلًا، ثمّ بعدها يأتي الدور للمجتمع، وإنّما تصلح الأسر والعائلة عن طريق إصلاح أفرادها.

إنّ الخطوة الأولى نحو الإصلاح في المجتمع هي عن طريق معرفة المجتمع ومعرفة أخطاره والآفات الّتي تصيب المجتمعين فيه، وبما أنّه عبارةٌ عن حركةٍ تغييريّةٍ في المجتمع، تنتج من المصلح فهي تعتمد على ما بنى عليه المصلح نظريّته، وكيف استقى علومه، وفهمه الحاصل للمجتمع.

فمن كان قد بنى نظريّته على الفكر الفلسفيّ فلا بدّ أن تكون النتائج المترتّبة عليه ذات أثرٍ كبيرٍ ومفيدٍ، ومقتضيةً لفهمٍ واسعٍ للمجتمع وكيفيّة إصلاحه، بل وحتّى العوامل الّتي تؤثّر إيجابًا وسلبًا عليه، وهو ما يعتقد به

الحكماء بناءً على ما تمّ عندهم من الرؤية الكونيّة القائمة على البرهان العقليّ؛ فالتجرّد عن المادّة والنظر إلى العالم بنظرةٍ شاملةٍ من جميع جهاته وبالنظام البديع الدقيق القائم على أسّ العلّيّة والمعلوليّة، بحيث لا يمكن للعبثيّة والصدفة أن يكون لها دخلٌ فيه، بل الحكمة واضحةٌ فيه. [انظر: الفارابيّ، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 105 و146]

وهو من حيثيّته تلك تعطي للناظر فيه قواعد عامّةً ناتجةً عن الرؤية الخاصّة؛ لو عمل وفقًا لها تنتج أيديولوجيا وثقافةً تمكنه من الوصول إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة، إن التزم بنفس الاستراتيجيّة الّتي استقاها من الرؤية الكونيّة الحقّة.

فالنظرة المجرّدة للعالم وكونه مخلوقًا لخالقٍ حكيمٍ، لا عن عبثٍ، بل لحكمةٍ تعطي لكلّ إنسانٍ خصوصيّةً تؤثّر بدورها على الأسر من حيث إنّها لبنةٌ تكوّن المجتمعات.

فبهٰذه الرؤية العقليّة للواقع وللمجتمع تمكّنه من تغيير ما هو عليه عبر رسم الخريطة الموصلة إلى التكامل بالاستعانة بالقوانين الإلٰهيّة الّتي تجعل من العوائل المتفرّقة من حيث الثقافة والسلوك مجتمعًا قادرًا على تكوين المدينة الفاضلة الّتي ينعم بها الجميع من غير ظلمٍ ولا إجحافٍ.

وعلى هٰذا الأساس فإنّ بداية إصلاح المجتمعات والخطوة الأولى نحوها عن طريق معرفة اللبنات الّتي تكوّنت منها، وهي الأسر الّتي تتكوّن بدورها من الأشخاص.

فالبداية تكون من النفس الإنسانيّة عن طريق تهيئتها للوصول إلى الإصلاح الخارجيّ بعد إصلاحها الداخليّ، فمعرفة النفس هي المفتاح لإصلاح المجتمع.

والاستفادة من المعارف النفسيّة الّتي تتلقّاها عن طريقٍ معرفيٍّ فلسفيٍّ

صحيحٍ تؤثّر على تكامل النفس نظريًّا، وتبيّن الطريق للوصول إلى تكاملها عمليًّا وسلوكيًّا عبر رسم أيديولوجيا خاصّةٍ بناءً على النظرة الواقعيّة للعالم.

فتبدأ بخطواتها الأولى في معرفة حيثيّتها ثمّ إلى الآخرين لتكوين المجتمع الفاضل عن طريق الإصلاح الاجتماعيّ، جاء في كتاب "السياسة المدنيّة":

«الإنسان من الأنواع الّتي لا يمكن أن يتمّ لها الضروريّ من أمورها ولا تنال الأفضل من أحوالها إلّا باجتماع جماعاتٍ منها كثيرةٍ في مسكنٍ واحدٍ»؛ باعتبار حاجات الإنسان المتكثّرة والمتنوّعة، فلا يستطيع بمفرده تلبية حوائجه، فيحتاج إلى أن يوزّع جهوده، وتتخصّص كلّ مجموعةٍ بتلبية حاجاتٍ معيّنةٍ كي تحصّل الأفضل لها في الحياة.

ويكمل قائلًا: «والجماعات الإنسانيّة منها عظمى ومنها وسطى ومنها صغرى، والجماعة العظمى هي جماعة أممٍ كثيرةٍ تجتمع وتتعاون، والوسطى هي الأمّة، والصغرى هي الّتي تحوزها المدينة» [الفارابيّ، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 27].

ثمّ يبيّن أوّل التجمّعات الّتي يمكن تلبيتها لكمالات الإنسان، فيقول: «فالمدينة هي أوّل مراتب الكمالات. وأمّا الاجتماعات في القرى والمحالّ والسكك والبيوت فهي الاجتماعات الناقصة، وهٰذه منها ما هو أنقص جدًّا وهو الاجتماع المنزليّ، وهو جزءٌ للاجتماع في السكّة، والاجتماع في السكّة هو جزءٌ للاجتماع في المحلّة، وهٰذا الاجتماع هو جزءٌ للاجتماع المدنيّ» [الفارابيّ، كتاب السياسة المدنيّة، ص 73].

ثالثًا: نماذج الفكر الفلسفيّ وتطبيقاته في الحركات الإصلاحيّة السياسيّة

كي يكون بحثنا عمليًّا وليس نظريًّا فحسب، نذكر بعض التطبيقات والنماذج لحركاتٍ اتّخذت الفكر الفلسفيّ أساسًا لنهضتها، فقد حدثت في

الأزمنة الماضية حركاتٌ إصلاحيّةٌ ـ من وجهة نظر المصلِح ـ كثيرةٌ، قد بني بعضها على ردود أفعالٍ آنيّةٍ للوضع الموجود آنذاك، والبعض الآخر كان حصيلة تفكيرٍ وتأمّلٍ جهيدٍ من قبل كبار العقول، واستُنتجت بعد تنظيرٍ محكمٍ، ومن أهمّها تلك القائمة على الفكر الفلسفيّ، فنرى الكثير من الفلاسفة قد خرجوا عن التفكير للتفكير، وحاولوا التفكير للتطبيق، فنحاول أن نسلّط الضوء على نموذجٍ من هٰذه الحركات بغضّ النظر عن إصابتها للواقع وعدمها، ونتاجها العمليّ وعدمه. [انظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث]

أمّا النماذج الّتي نحن بصدد الحديث عنها، فقد أسّسوا البنيان على دعائم مستحكمةٍ، فكانت خطوتهم الأولى قويّةً؛ إذ بدؤوا من الفطرة السليمة وحصّلوا معارفهم بواسطة الفكر المترتّب على الفكر،

أمرٌ بيّنٌ، ثمّ يبيّن به أمرًا آخر، فحصلوا على المدركات الصحيحة، وعرفوا الكمال الواقعيّ وحددوه وشخّصوه وبنوا المقدّمات للوصول إليه، فأثمرت المقدّمات عند بعضهم، واقتطفوا ثمارها كما في حركة الإمام الخمينيّ، أمّا الشهيد الصدر فكانت هناك موانع لم تجعل مقدّماته تصل وتطبَّق في الواقع.

إنّ البحث عن هٰذين العلمين بحثٌ عن أبرز رجال الإصلاح في القرن العشرين؛ بل من النوادر الّذين حاولوا الوصول لنشر الخير ونجحوا في الجملة، وقد كلّفهم هٰذا النجاح كثيرًا في الحياة الدنيا، فلا بدّ من الاستفادة من تجاربهم عن طريق بيان المقدّمات الّتي بنوا عليها؛ كي يقتدي بهم الصلحاء ورجالات الإصلاح لنشره. فإن لم يمتلك الإنسان زمام الإصلاح السياسيّ لا يستطيع نشر الإصلاح بصورته التامّة العامّة الشاملة، ويمكن أن يؤثّر ببعض الأشخاص الّذين يخالطونه ويقتدون به ويحتذون حذوه، ولٰكن كحركةٍ إصلاحيّةٍ يمكن للجميع الاستفادة من تجربتها ومن مواضع القوّة

والضعف، فلا يبدأ من الصفر.

1ـ الحركة الإصلاحيّة الاجتماعيّة للإمام الخمينيّ

من الشخصيات العظيمة الّتي ليس من السهولة أن نجد لها مثيلًا بين القادة على مرّ العصور والأزمنة هو الإمام الخمينيّ، إذ كان يجمع الإيمان بالعمل الصالح، ويمتاز بالإرادة القويّة والشجاعة والأخلاق الحميدة والحكمة وبلاغة الحديث والمنطق المتين والصفاء المعنويّ، وأيضًا كان يتّصف بالصدق والتقى والورع والحزم والقيادة الفذّة والعطف والإيمان وغيرها من الصفات الأخرى النفسيّة الفريدة الّتي من النادر أن تجتمع في إنسانٍ واحدٍ.

يقول الشيخ جعفر سبحاني الّذي كان أحد طلّاب الإمام الخمينيّ:

«إنّ البعد المهمّ في حياة الإمام يتّصف بصبغةٍ خاصّةٍ لا يمكن لأحد الوقوف عليها، إلّا إذا كان على اتّصالٍ مباشرٍ به لفترةٍ طويلةٍ، فالفيلسوف الّذي يقضي معظم عمره في تربية عقله وإدراكه، نجده يبتعد عن الخوض في المسائل العرفيّة والحياة اليوميّة للناس، ويندر أن تجتمع في الفيلسوف الدقّة في التفكير مع الاستنباطات العرفيّة من الروايات، كذٰلك الحال بالنسبة لأهل العلم والفكر الّذين يهتمّون بمطالعة الكتب والنظريّات العلميّة، لٰكنّهم لا يهتمّون بالأوضاع السياسيّة في البلاد والعالم، ورغم ذٰلك يتّفق أحيانًا اجتماع هاتين الصفتين في شخصٍ واحدٍ، وعادةً ما نطلق على اجتماع مثل هٰذه الصفات المتضادّة الّتي يندر اجتماعها في شخصٍ واحدٍ اصطلاحَ "اجتماع الأضداد"، وهو بالطبع التضادّ الفلسفيّ وليس المنطقيّ، ويعتبر أمير المؤمنين مصداقًا جليًّا على هٰذا الاصطلاح، وكان الإمام الخمينيّ الابن والخلف الصالح لأمير المؤمنين عليه السلام وارثًا لجدّه في امتلاك مثل هٰذه الخصّيصة من اجتماع الأضداد في شخصيّته، فكان مظهرًا للعاطفة، لٰكنّه

في الوقت ذاته كان بطلًا شجاعًا، وكان شديد التأثّر بالظروف الإنسانيّة، ومقاومًا وشديد البأس في مقابل الظلم والطغيان، وكان فيلسوفًا دقيقًا أدرك بحقٍّ الأمور الإلٰهيّة، بل وتذوّقها وفي نفس الوقت كان سياسيًّا عادلًا ومدبّرًا أيضًا، فتمكن بقوّته وصلابته من أخذ زمام أمور البلاد وإيصالها إلى الأمان، ومطّلعًا على معظم الأحداث السياسيّة في العالم» [http://alwelayah.net/post/12500].

ومن أهمّ خصائصه الّتي كان يمتلكها:

أـ تأثير العلوم العقليّة على شخصيّته

حينما يأنس شخصٌ ما بمسألةٍ أو عملٍ أو حرفةٍ، فإنّه سوف يأخذ منها ويحصل نوعٌ من الانسجام بينهما، وهٰذا الأمر ضمن الأمور الّتي تدخل ضمن منظومة الطبيعة البشريّة، والوجدان يشهد بذٰلك، وحينما نلاحظ سيرة الإمام الخمينيّ نجده قد بدأ بدايةً علميّةً متقنةً، فأسّس أساسًا مهنيًّا، فكان أوّل ما درسه علم المنطق؛ لكونه خادمًا للعلوم، وجعله هو المقياس الّذي يسير عليه في ضمن العلوم المعتمدة عليه.

فجعل ميزانٍ ومقياسٍ في الحياة من أهمّ الأمور الّتي تمكّن الجاعل من النظر إلى الأهداف المرجوّ تحقيقها، والغاية المطلوبة منه والنتاج المستحصل من الحركة الّتي كان عليها، فإن كان في خلاف ذٰلك، فيحاول تصحيح مساره والرجوع إلى الجادّة السويّة، عن طريق محاسبة نفسه، والتفكّر في الأسس والمبادئ الّتي انطلق منها، ومحاولة تقييمها واستبدالها إن تطلّب الأمر، وهٰذا يعدّ من أكبر المجاهدات على الإنسان في حياته.

وكان الإمام الخمينيّ بحكمته وسيرته الهادئة متوقّد الذهن وواسع الذكاء، يطغى على حديثه الحكمة والأخلاق الرفيعة والعشق الإلٰهيّ؛ لتأثّره بالدروس

العلميّة وكلمات أهل البيت عليهم السلام والحكمة العمليّة؛ لأنّه كان قد أسّس بنيانه على أساسٍ معرفيٍّ متينٍ.

وكذٰلك الأمر من حيث تأثير الفلسفة عليه، فإنّ معرفة الأمور عن طريق أسبابها، تعطي للذهن ملكةً في عدم التسليم بكلّ قولٍ، بل باتّباع القول البرهانيّ الّذي دلّ الدليل عليه، فليست هناك أحكامٌ مسبقةٌ عند العقل تمنعه من التسليم بما دلّ البرهان عليه، بخلاف بعض العلوم التاريخيّة أو الفقهيّة، فإنّ الانطباعات المسبقة عن الواقع تمنع من قبول بعض الأخبار والروايات، وتحاول تأويلها بما أمكن كي لا يغيّر الشخص ما عنده من انطباعاتٍ، خصوصًا إذا لم يكن الدليل قطعيًّا.

ومن هنا نلاحظ اهتمامه بالفلسفة قراءةً وتدريسًا، فتقدّم النفسُ البرهان على بقيّة الأدلّة الظنّيّة غير القطعيّة، وتقدّم المجرّدة على غيرها، وهٰكذا، وإن وصلت إلى هٰذه المرحلة فسوف لا تقضي ولا تحكم ولا تعتني بأيّ اعتبارٍ آخر سوى الحجّة والدليل، وستبحث الأمور عن طريق أسبابها، وترفض التسامح العرفيّ.

وممّا تمخّض من تأثيرات الفلسفة عليه خصوصيّة الإبداع في طرح نظريّةٍ لإصلاح المجتمع، وأهمّ ما يمكن أن يبدأ الإصلاح منه هو التغيير السياسيّ كما فعله، فنظرته للواقع السياسيّ كانت نظرةً دقيقةً ناتجةً من قراءةٍ صحيحةٍ ضمن أسسٍ صحيحةٍ، فتعرّف للواقع بواسطة أدواتٍ معرفيّةٍ لها مقام ثبوتٍ واقعيّ.

ب ـ نظرته الثاقبة للواقع

هناك خطوطٌ حمرٌ لا يتجرّأ الناس التقرّب منها، فضلًا عن الولوج فيها، والميزة الّتي توفّرها لنا دراسة العلوم العقليّة والفلسفة هو وجود ميزانٍ يمكن

قياس الأفكار والأفعال عليه، ومن خلاله يمكن تحديد صحّته أو سقمه، ومسألة دراسة العلوم العقليّة والفلسفة بصورةٍ خاصّةٍ كانت عميقةً عند الإمام، وحاول الاستفادة منها في إصلاح المجتمع، ما يؤدّي بدوره إلى الإصلاح السياسيّ.

وفي بعض الأحيان ينصبّ تفكير الشخص بحسب ما اهتمّ به، دون النظر إلى الواقع وما يؤثّر في المجتمع، وبما أنّ جلّ اهتمام أكثر العلماء بالجانب الفقهيّ والأصوليّ، يظنّ بعضهم أنّ الإصلاح يكون عبر تهيئة الأحكام الشرعيّة والأصوليّة فحسب، ولٰكنّ الواقع بحسب ما يراه الإمام الّذي ينظر الى العالم نظرةً واحدةً يختلف عن أنظاره؛ فإنّ أسلوبه في الحياة هو الإصلاح، فكما يكون عبر الافتاء وإيصال الناس إلى شاطئ الأمان من ناحية التكليف الشرعيّ، كذٰلك يكون عبر ملك القرار وصناعته، عن طريق تدبير نفسه أوّلًا وأسرته ثانيًا، ثمّ كيف يسوس الناس ويقودهم وينجيهم باعتباره نائبًا عن الإمام ثالثًا، يقول بعض الباحثين حول خصوصيّة الإمام هٰذه:

«أوّل عناصر الإصلاح الخمينيّ في الحوزة العلميّة هو استحضار الواقع ووعي الزمان، فالإمام الخمينيّ لا يرى من المسموح بعد اليوم أن يكون المرجع غير معنيٍّ بالحياة السياسيّة والاجتماعيّة للناس، ينـزّه نفسه عن الدخول في اليوميّات على أساس أنّه كلّيٌّ وعامٌّ، ولا يحضر في واقع الحياة على أساس أنّه يؤتى ولا يأتي. لم تقف القضيّة عند هٰذا الحدّ، بل طوّر الخمينيّ من هٰذا الموضوع أواخر حياته، عندما رأى أنّ الزمان والمكان يلعبان دورًا في الاجتهاد، وفي سياق نصّه الشهير هٰذا يركّز على ملاحظة الموضوعات في ظلّ التعقيدات الحاليّة للحياة السياسيّة والاجتماعيّة» [حب الله، الإمام الخميني وهموم الإصلاح في الحوزة العلمية، مجلة المنهاج، العدد 42].

وهٰذا يعني أنّ الصورة البدويّة الأوّليّة الّتي يرسمها فقيهٌ ما عن موضوع الحكم لم يعد يمكن الاعتماد عليها دومًا، بل إنّ ما يتراءى لنا اليوم أنّه موضوعٌ للحكم الفلانيّ، ربّما لو اطّلع الفقيه على تعقيدات الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة الجديدة، لرأى أنّه لم يعد هٰذا المورد موضوعًا لهٰذا الحكم، بل موضوعٌ لحكمٍ آخر، إذن فهناك رابطٌ وثيقٌ بين الحضور المعرفيّ للفقيه في مجال تغيّرات الحياة وبين رؤيته الفقهيّة الّتي أصدر الحكم على ضوئها. [حبّ الله، الإمام الخمينيّ وهموم الإصلاح في الحوزة العلميّة، مجلّة المنهاج، العدد 42]

جـ- تأسيسه قوام الدولة الفاضلة ودعوته للتعايش

التعايش حلم الأنبياء والمرسلين، وهٰذه الحقيقة تحتاج إلى تأسيسٍ حاول البعض التأسيس لها ولٰكن لم تجتمع الشروط اللازمة لإقامتها، فلم يردعه ذٰلك عن المحاولة في ترسيخ دعائم التعايش والمدينة الفاضلة، وكان ذٰلك واضحًا من خلال تصرّفاته وأقواله، فكان بحقٍّ خليفةً للإمام الّذي يعتبر الأب لكلّ البشر، لا بخصوص بلدٍ واحدٍ فقط، قال الامام الخمينيّ:

«كان شعار "لا شرقيّةٌ ولا غربيّةٌ" الشعار المبدئيّ للثورة الإسلاميّة في عالم الجياع والمستضعفين، وراسم معالم السياسة الواقعيّة لعدم الانحياز في الدول الإسلاميّة، تلك الدول الّتي ستجعل الإسلام في القريب العاجل المدرسة الوحيدة لإنقاذ عالم البشريّة، ولن تعدل عن هٰذه السياسة قيد أنملةٍ، فلا يجب أن تعلّق الدول الإسلاميّة والشعوب المسلمة في العالم آمالها على الغرب وأوربّا وأمريكا أو الشرق وروسيا؛ بل يجب أن ترتبط بالله ورسوله والإمام صاحب الزمان ﷻ، وممّا لا شكّ فيه أنّ الإدبار عن هٰذه السياسة الدوليّة للإسلام هو إدبارٌ عن الإسلام وخيانةٌ لرسول الله ﷺ وأئمّة الهدى ﵈،

وبالتالي يؤدّي إلى موت دولتنا وشعبنا. ولا يتصوّر متصوِّرٌ أنّ هٰذا الشعار مقطعيٌّ، بل هٰذه سياسةٌ أبديّةٌ لنا ولشعبنا وللجمهوريّة الإسلاميّة ولكافّة المسلمين في العالم؛ لأنّ شرط دخول صراط النعمة حقّ البراءة والابتعاد عن صراط الضالّين، ويجب أن يطبّق ذٰلك في كلّ المجتمعات الإسلاميّة وعلى كافّة الأصعدة... يجب على المسلمين في العالم أن يعملوا على إصلاح القادة العملاء لبعض الدول، وأن يوقظوهم من هٰذا النوم العميق الّذي يجعل مصالحهم ومصالح الشعوب الإسلاميّة في مهبّ الريح عن طريق النصيحة أو التهديد، وعليهم أن لا يغفلوا عن خطر المنافقين ووسطاء الاستكبار العالميّ، وأن لا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتفرّجوا على مشهد اندحار الإسلام ونهب ثرواته وانتهاك أعراض المسلمين» [صحيفة الإمام (الترجمة العربيّة)، ج 20، ص 61].

والواضح أنّ ما دعا إليه الإمام الخمينيّ هو المدينة الفاضلة الخالية من المستكبرين والظالمين.

د- تأثير الفكر الفلسفيّ في حركته الإصلاحيّة السياسيّة

إنّ الإصلاح السياسيّ للإمام الخمينيّ في غنًى عن التعريف لوضوحه لكلّ منصفٍ، فلم يدع مسألةً مهمّةً في السياسة دون ملاحظةٍ أو تذكيرٍ ليمهّد الطريق للّذين يقدّمون بعده، ويبني الأسس القويمة لمدينةٍ يسودها الاحترام والاحتواء والنظام؛ لذا نجده قد حوى الجانب السياسيّ واحتوى كلّ جوانبه، سواءٌ كان على الصعيد البنائيّ والهيكليّة أم على الصعيد المحتوائيّ، فقد أكّد على كلا الجانبين، ونستطيع أن نستشفّ تأثير المنهج الفكريّ الفلسفيّ على ما قام به الإمام الخمينيّ الّذي قد تبع معطياتٍ أدّت إلى نتائج حتميّةٍ وواقعيّةٍ فعليّةٍ منها:

ـ التفكير المنطقيّ الهادف.

ـ النتائج العمليّة الواقعيّة.

ـ عالميّة الهمّ والدعوة.

ـ إيجاد القدوة الصالحة.

ـ التشخيص الجادّ للواقع.

ـ عداؤه للظلم أينما كان.

فحينما وضع هٰذه الغايات الشريفة أمام عينيه وجعلها دائمًا معه، استطاع الوصول إلى الإصلاحات المرجوّة ضمن المستطاع، وكان للأرضيّة الثقافيّة دورٌ مهمٌّ في بناء الأسس المعرفيّة والفكريّة للإنسان، وإنّ لدراسة الفلسفة وغيرها من العلوم تأثيرًا واضحًا على ما يعتقده الإنسان، وعلى سلوكه العمليّ، فاستغلّ الإمام الخمينيّ حبّه للفكر والتفكّر والتدبّر وعشقه للفلسفة والعرفان في استغلالها واقعيًّا، وبيّن أنّ كلّ ما هو مخالفٌ للعقل والحكمة لا يمكن الاعتماد عليه ولو كان سلوكًا يسلكه الآباء والأجداد.

ولم يساوم ولم يفاوض على هذا الفيصل، وهٰذا الأمر نعزوه للتألّق الفكريّ المختصّ به الإمام ومن على شاكلته، فحينما لم ير أحدًا يقوم بهٰذه المهمّة قام بها بنفسه، ولمّا أحسّ بوجود من يمكن الاعتماد عليه كالسيّد البروجرديّ ﵀ توقّف، وكأنه قد وعى الإسلام الواقعيّ: «سعيدٌ من اكتفى بغيره». أمّا إن كان الغير في وادٍ آخر فيوجب على نفسه التدخّل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه.

والتزامه بجانب الوسطيّة له دورٌ مهمٌّ في اصلاحه؛ فلم يكن من المفرطين بالعقل كالمتحجّرين، ولا من الغالين به والقائلين به من غير حدودٍ، بل التزم جانب الحكمة والوسطيّة، فإنّ من الحكمة وضعَ كلّ شيءٍ في موضعه، وهٰذا

ما يوفّره الفكر الفلسفيّ، فيضع كلّ منهجٍ في إطاره الخاصّ وحدوده الخاصّة.

فما حصّل عليه الإمام الخمينيّ من ثمراتٍ واسعةٍ هي ببركةٍ من الله ـ تعالى ـ عليه، ولتربيته لنفسه تربيةً فكريّةً صحيحةً، ولسلوكه العمليّ العالي.

كما أنّ من أهمّ المطالب للمؤمن في الحياة الدنيا، والّذي يجعل تحصيل طرق الكمال متوفّرةً وملبّيةً للكلّ مسألة الدولة العادلة، وخضوعها لحاكمٍ عادلٍ راعٍ لرعيّته، ولا يجتمعان إلّا مع قانونٍ إلٰهيٍّ عن طريق رسولٍ من السماء (وهو الدين الإسلاميّ)، ووجود دولةٍ كهٰذه تخضع لنظامٍ عادلٍ كان حلم الأنبياء، وظهرت ملامحها في عهد الإمام الخمينيّ، رغم كثرة العلماء الّذين سبقوه والّذين جاءوا بعده، غير أنّ الله عزّ وجلّ شاء أن يجعل هٰذه الدولة تنزل إلى الواقع بكفاح الإمام وإخلاصه. فبالإضافة إلى ما كان عنده من الإصرار والعزم استعان بالدعاء، والّذي هو أفضل وسيلةٍ للتقرّب إلى الله تعالى، وجاء في دعاء الافتتاح: «اللّٰهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيهَا مِنَ الدُّعاةِ إِلى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [القمّيّ، مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح].

2ـ الحركة الإصلاحيّة الاجتماعيّة عند الشهيد محمّدباقر الصدر

برزت في الحقبة الزمنيّة الحاليّة شخصيّاتٌ علمائيّةٌ أثبتت وجودها في العالم الإسلاميّ والفكريّ على حدٍّ سواءٍ، وأحد أبرز الشخصيّات الّتي ظهرت على الساحة العلميّة، مع الظلم الّذي كان يعيشه من طاغية عصره ومن سانده لطمس الواقع والحقيقة لتحصيل المنافع الشخصيّة والوهميّة، هو السيّد الشهيد محمّدباقر الصدر الّذي عانى كالسيّد الإمام الخمينيّ من الواقع

المرّ الّذي كانت تعيشه الأمّة الإسلاميّة، وتشويه صورة الإسلام الواقعيّ، وحاول إصلاح هٰذا الواقع المريض.

فتزامنت الثورتان وكادتا تثمران كلاهما، ولٰكن شاء الله والله يفعل ما يشاء، وفهناك امتيازاتٌ امتاز بها الشهيد الصدر جعلت منه علمًا ومعينًا للمصلحين، من هٰذه الامتيازات:

أـ تأثير العلوم العقليّة على شخصيّته

إنّ العلوم تؤثّر على من يسلكها تأثيرًا متناغمًا مع العلم نفسه، فكما أنّ الفقه والأصول يؤثّران في ذهنيّة الطالب، والعرفان يؤثّر في نفسيّة دارسه ومتعلّمه، كذٰلك الّذي يدرس العلوم العقليّة البرهانيّة، فإنّه يستخدم البرهان للحصول على اليقين في القضايا الّتي يحاول إثباتها، ووضع كلّ قضيّةٍ في حيزها الّذي تتأقلم معه، وقد سلك السيّد الشهيد الصدر مسلكًا علميًّا متميّزًا، فلم تؤثّر عليه الظروف الّتي كانت موجودةً في ذٰلك الوقت، فدرس مبادئ الدروس العقليّة مقدّمةً للدراسة الفلسفيّة، ولم يتأثّر بالعلوم الأخرى الّتي درسها كتأثّره بالعلوم العقليّة، فحاول أن يجد منهجًا خاصًّا يفرق به عن المنهج الأرسطيّ القياسيّ، فكتب في المنطق الاستقرائيّ محاولةً منه لحلّ الإشكالات على المنطق الأرسطيّ المبنيّ على القياس، ومثل هٰذه الإصلاحات العلميّة الرياضيّة الفكريّة تحتاج إلى ذهنٍ متوقّدٍ قادرٍ على التفصيل والتحليل وخصوصًا في مثل هٰذه المطالب المعقدة المنطقيّة.

فالعلوم العقليّة خلّفت أثرًا واضحًا على السيّد الشهيد الصدر، وعلى حركته الإصلاحيّة على جميع المستويات (السياسيّة، الإصلاحات المجتمعيّة، العلميّة).

وحينما نطالع سيرة حياته ونستمع إلى من عاش معه، وإلى ما ذكره هو عن

حياته، نستكشف أنّه كان دائم التفكّر والتدبّر، إذ إنّ معدّل مطالعته العلميّة في اليوم الواحد كان ست عشرة ساعةً خلال سنوات تحصيله الأولى على طوال سبع عشرة أو ثمان عشرة سنةً. [الحائريّ، مقدّمة مباحث الأصول، ص 52]

فحينما يريد العالم أن ينمّي قدراته العلميّة في أيّ مجالٍ ما، إنّما يتمّ عبر تنمية قدرته التفكيريّة بإرجاع الفطرة الإنسانيّة إلى محلّها وممارسة التفكير دائمًا في جميع الأوقات، وهٰكذا كان دأب الشهيد الصدر؛ لذا أثّرت الحياة العلميّة وخصوصًا الفلسفيّة على تفكيره، وأصبح يعيش في عالم التفكير والتأمّل والتدبّر، والنتيجة الحتميّة للتفكير الصحيح والاهتمام بالآخرين أن يرى نفسه واقفًا على باب السياسة وإدارة الناس بصورةٍ عامّةٍ.

وليس معنى ذٰلك أنّه يترك الواقع ويبقى حبيس أفكاره وما أنتجته نظريّاته، بل لا بدّ أن يطبّق ويجانس نتاجه الفكريّ مع الواقع العمليّ؛ لذا نجده انبرى لمواجهة الفكر الشيوعيّ الإلحاديّ والماركسيّة في ذٰلك الوقت؛ لما كان لهٰذا التفكير المنحرف من تأثيرٍ سلبيٍّ على الواقع، فخاطب الناس بطريقةٍ عقلائيّةٍ ودحض حججهم بما لديهم من أسسٍ، واستخدم البرهان والدليل، يقول الشهيد الصدر:

«إنّ الشرط الأساسيّ لنهضة الأمّة ـ أيّ أمّةٍ كانت ـ أن يتوفّر لديها المبدأ الصالح الّذي يحدّد لها أهدافها وغاياتها، ويضع لها مثلها العليا، ويرسم اتّجاهها في الحياة، فتسير في ضوئه واثقةً من رسالتها، مطمئنّةً إلى طريقها، متطلّعةً إلى ما تستهدفه من مثلٍ وغاياتٍ، مستوحيةً من المبدإ وجودها الفكريّ وكيانها الروحيّ. ونحن نعني بتوفّر المبدإ الصالح في الأمّة وجود المبدإ الصحيح أوّلًا، وفهم الأمّة له ثانيًا، وإيمانها به ثالثًا» [الصدر، رسالتنا، المقدّمة].

ب- تأثير الفكر الفلسفيّ في حركته الإصلاحيّة

ظهرت في بدايات القرن الماضي وأواسطه الكثير من المشاكل والشبهات الفكريّة، ولمّا جاءت الشيوعيّة بفكرها الإلحاديّ وما ترتّب عليه من فسادٍ على مختلف الأصعدة والمستويات - منها الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ - أثّرت في جوانب كثيرةٍ، وغزت العديد من العقول في الشرق الأوسط، فضجّ عامّة الناس من المتديّنين وغيرهم، والتجؤوا إلى العلماء؛ لعلمهم أنّه لا طاقة للوسائل المادّيّة بمحاربة فكرٍ كهٰذا؛ لأنّ الفكر لا يمكن أن يجابه إلّا بالفكر، فالموعظة والإرشاد قد تؤثّر، ولٰكنّ تأثيرها مؤقّتٌ كالمخدّر، فمواجهة موجاتٍ كهٰذه تحتاج إلى عقولٍ نيّرةٍ وراقيةٍ فهمت النظام الصحيح بصورةٍ واقعيّةٍ وبالأدلّة والبراهين، ووقفت على أسسه ودقائقه، وتتمكّن من نقل هٰذه الخبرات وتوضيحها لباقي الناس بحسب مستوى المخاطب.

وهنا انبرى السيّد الشهيد الصدر موضّحًا فلسفة الإسلام الواقعيّ بصورةٍ برهانيّةٍ ونقد الأسس الّتي قامت عليها الشيوعيّة، ووضّحها بصورةٍ جليّةٍ للشباب المثقّف عبر كتاب "فلسفتنا"، معتمدًا على المباني الفلسفيّة الّتي يتبنّاها الفلاسفة بصورةٍ عامّةٍ، والّتي تعتمد على المنطق والقياس والبرهان في بيان التصديقات وإثبات المطالب والمغالطات الّتي استخدمها أصحاب الفكر المنحرف، من مبادئها اليقينيّة إلى المركّبات التصديقيّة.

وبذٰلك استطاع الشهيد السيّد محمّدباقر الصدر أن ينازل بفكره الإسلاميّ البديع عمالقة الحضارة المادّيّة الحديثة ونوابغها الفكريّين، وأن يكشف للعقول المتحرّرة عن قيود التبعيّة الفكريّة والتقليد الأعمى زيف الفكر الإلحاديّ، وخواء الحضارة المادّيّة في أسسها العقديّة ودعائمها النظريّة، وأن يثبت فاعليّة الفكر الإسلاميّ واضطلاعه بمهمّة إدارة الحياة الجديدة بما يضمن للبشريّة السعادة والعدل والخير والرفاه، وقدرته المنقطعة النظير على

حلّ مشاكل المجتمع الإنسانيّ بعد مرور أربعة عشر قرنًا من مجيء هٰذا الفكر، وإمكانية حلّه للمعضلات في الوقت الحاليّ والمستقبل؛ لأنّه دينٌ عالميٌّ وهو خاتم الأديان.

وقد اعتمد الشهيد السيّد محمّدباقر الصدر على ركنين أساسيّين، الأوّل في إثبات نظريّة المعرفة وكيفيّة معرفة الواقع، وأنّ العقل هو الحاكم الوحيد، والثاني في إعطاء كلّ منهجٍ ماله وما عليه من قدرةٍ على كشف الواقع، ثمّ يخضع الأقوال إلى الموازين الفطريّة الّتي لا يختلف أحدٌ في موضوعيّتها وصدقها.

أمّا بخصوص تأثير الفكر الفلسفيّ في حركته الإصلاحيّة السياسيّة، فعادةً ما يكون للفقيه ذهنيّةٌ عرفيّةٌ تتناغم مع الموضوع الّذي يشتغل به، ولٰكنّنا نجد الشهيد الصدر قد جمع بين هاتين المسألتين بصورةٍ واضحةٍ يشهد له بها الموالون والمخالفون، فقد جمع بين الدقّة الفلسفيّة والعرفيّة الفقهيّة، يقول بعض تلامذته: «وتحسن الإشارة إلى أنّه قلّما تجتمع النزعة البرهانيّة المنطقيّة في الاستدلال مع الذوق الفنيّ والحسّ العقلائيّ والذهنيّة العرفيّة في شخصيّةٍ علميّةٍ واحدةٍ، فإنّنا نجد أنّ العلماء الّذين مارسوا المناهج العقليّة والبرهانيّة من المعرفة تفاعلوا مع تلك المناهج وطرائق البحث، قد لا يحسّون بدقائق النكات العرفيّة والذوقيّة والعقلائيّة، ولا يبنون معارفهم وأنظارهم إلّا على أساس تلك المصطلحات البرهانيّة الّتي اعتادوا عليها في ذٰلك البحث العقليّ. وكذٰلك العكس، فالباحثون في علوم الأدب والقانون وما شاكل نجدهم لا يجيدون صناعة البرهان والاستدلال المنطقيّ، ولٰكن نجد أنّ مدرسة سيّدنا الشهيد قد امتازت بالجمع بين هاتين الخصّيصتين اللتين قلّما تجتمعان معًا، وتمكّنت من التوفيق الدقيق فيما بينهما، واستخدام كلٍّ منهما في مجاله المناسب والسليم دون تخبّطٍ أو إقحام ما ليس منسجمًا» [النعماني، الشهيد

الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار، ص 86 و87].

وكذٰلك الاهتمامات الفلسفيّة للشهيد الصدر أثّرت على سلوكه العمليّ، ووجّهت نظرته إلى الحياة بصورةٍ واضحةٍ وخاليّةٍ من الشكّ والترديد، وهٰذا ما ظهر عليه، فلم يكن حبيس الأفكار والنظريّات، بل تجاوز ذٰلك وأخرجها إلى الواقع وما يحمله من توسعةٍ على مستوى الأفراد والمجتمع، وعلى الاتّجاهات الاقتصاديّة والسياسيّة، فطبق ما تمّ تنظيره واقعًا، مستعينًا برؤيته الكونيّة وما استفاده من تجارب الآخرين على الصعيد الحوزويّ والإقليميّ والعالميّ، هٰكذا كان الإمام الصدر:

«هو أوّل من أنزل الفلسفة الإسلاميّة، من برجها العاجيّ الّذي احتكره أناسٌ مخصوصون معدودون على الأقلّ في زماننا الحاضر في العالم الإسلاميّ وغير الإسلاميّ في دنيا العروبة والعراق عامّةً، وعلى صعيد الإماميّة بصورةٍ خاصّةٍ ... نعم، أنزلها وجعلها في متناول الطبقة المثقّفة من الناس وعلى مستوى العصر وبمستوى اهتماماته» [البقال، الشهيد الصدر الفيلسوف الفقيه، ص 27].

فحينما تكون الأسس الّتي بني عليها ضمن الموازين العقليّة والشرعيّة، خاضعةً للضوابط الفطريّة الّتي تتقبّلها الفطرة السليمة، يكون سيره طبق خطًى ثابتةٍ، كما أنّ السلوك العمليّ للشخص السويّ إنّما يكون وليدة ما تبنّاه من فكرٍ وأسسٍ، فالشهيد الصدر استخدم الفكر الفلسفيّ دون غيره من المناهج، واختار المدرسة العقليّة دون غيرها من المدارس؛ لذا كانت النتاجات تابعةً لما قدّمه من مقدّماتٍ وتبتني على أسسها، والتأثير السلوكيّ للمبادئ واضحٌ عنده، وظهر من خلال مؤلّفاته وكلماته وأفعاله، فإنّ الحراك السياسيّ والثقافيّ الّذي قام به في وقته كان شاهدًا على ذٰلك، يقول السيّد الحائريّ: «وفي المنطق تعرّض الأستاذ الشهيد ﵀ ضمن أبحاثه الأصوليّة لدى

مناقشته للأخباريّين في حجّيّة البراهين العقليّة إلى نمط التفكير المنطقيّ الأرسطي ونقده بما لم يسبقه به أحدٌ، وبعد ذٰلك طوّر من تلك الأبحاث وأكملها وأضاف إليها، فأخرجها بأروع صياغةٍ باسم كتاب "الأسس المنطقيّة للاستقراء"» [النعمانيّ، شهيد الأمّة وشاهدها، ج 1، ص 79].

وكان تبيينه للسياسة بالمعنى المطلوب واقعًا؛ لا بالمعنى المشهور الّذي تقع فيه مغالطاتٌ كثيرةٌ يقول: «إنّ السياسة بمعناها الصحيح ـ لا بمعناها الّذي شاهدنا من المستعمرين ـ هي رعاية شؤون الأمّة وعلاقاتها الداخليّة والخارجيّة، فهي الّتي تحقّق للأمّة مصالحها وتحفظ لها كيانها الاجتماعيّ في شتّى شعب الحياة ونواحيها، وهي الّتي تحدّد لها علاقاتها وصلاتها، وترسم عمليًّا حياتها ومنهاجها في الحياة. هٰذه هي السياسة بمعناها الاصطلاحيّ الصحيح، فإذا تبيّنّاها في واقعها المصفّى وجوهرها البنّاء، ووضح لنا كلّ الوضوح مدى الغلط والاشتباه في تلك العقيدة السائدة الّتي تجعل السياسة نقطةً مقابلةً للإسلام، فإنّ السياسة إذا كانت في مفهومها الكامل تعني رعاية شؤون الأمّة وحماية مصالحها فهي من صميم الإسلام، وهل اهتمّ الإسلام بشيءٍ كما اهتمّ برعاية شؤون الأمّة وتنظيم علاقاتها، وإجراء الأنظمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة العادلة عليها» [الصدر، ومضات، ص 306 و307].

أمّا في مجال الوعي السياسيّ وأهمّيّة الحرّيّة السياسيّة في الأمّة يقول: «إنّ الامّة هي صاحبة الحقّ في الرعاية وحمل الأمانة، وأفرادها جميعًا متساوون في هٰذا الحقّ أمام القانون، ولكلٍّ منهم التعبير ـ من خلال ممارسة هٰذا الحقّ ـ عن آرائه وأفكاره، وممارسة العمل السياسيّ بمختلف أشكاله. كما أنّ لهم جميعًا ممارسة شعائرهم الدينيّة والمذهبيّة. وتتعهّد الدولة بتوفير ذٰلك لغير المسلمين من مواطنيها الّذين يؤمنون بالانتماء السياسيّ إليها وإلى إطارها

العقائديّ، ولو كانوا ينتسبون دينيًّا إلى أديانٍ أخرى» [الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص 22].

ويشير إلى أهمّيّة هٰذه السياسة من المنطلق الشرعيّ بعد التسليم به عقلًا باعتباره من الأمور الّتي قوام حاجات الأفراد عليها، فيقول: «فعلى كلّ مسلمٍ كاملٍ أن يكون ذا وعيٍ سياسيٍّ صحيحٍ بمعناه الّذي يريده الإسلام، وأن يركّز هٰذا الوعي على القاعدة الإسلاميّة، فهو بطبيعة إسلامه لا بدّ أن يجعل قضيّة الأمّة وشؤونها هي قضيّته الأولى في حياته الّتي لا بدّ أن يساهم فيها بكلّ ما يملك من حول وطول، لقوله ﷺ: "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته" [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 75، ص 38]» [الصدر، ومضاتٌ، ص 307].

كذٰلك يبيّن علاقة الإسلام بالمعنى الحديث للسياسة فيقول: «فالإسلام يباين السياسة، ولٰكن لا تلك السياسة الصحيحة النزيهة الّتي يعبّر عنها المفهوم الاصطلاحيّ للّفظ، بل إنّما يباين سياسة الاستهتار بالكرامات الإنسانيّة واستلاب حقوقها والتآمر على سلامتها. والإسلام يتبنّى القضيّة السياسيّة، ولٰكن لا بالمعنى الاستعماريّ للسياسة، بل بالمعنى الّذي كان يقوم به رسول الله ﷺ، فقد كان النبيّ ﷺ الممثّل للإسلام في كلّ مظاهر حياته المقدّسة ونشاطه المبارك يتولّى باسم الإسلام رعاية شؤون الأمّة وقيادتها الاجتماعيّة وسياسة أمورها وتنظيم حياتها على ضوء شريعته الإلٰهيّة العادلة» [الصدر، ومضاتٌ، ص 306 و307].

وأمّا بخصوص رؤيته عن إقامة حكومةٍ إسلاميّةٍ في عصر الغيبة، فقد كان تطلّعه للمستقبل في ظلّ نظامٍ يحافظ على الناس؛ لذٰلك كان يعتقد بضرورة إقامة حكومةٍ إسلاميّةٍ؛ لكون الإسلام هو الوحيد القادر على تلبية حاجات البشريّة؛ باعتباره الدين الخاتم الّذي جاء من قبل الله ﷻ لتهيئة أمورهم نحو التكامل، يقول السيّد الشهيد الصدر في رسالة له بهٰذا الخصوص: «وفي هٰذا

المجال نودّ أن نؤكّد الحقائق التالية: الحقيقة الأولى: أنّ تطبيق الإسلام فريضةٌ واجبةٌ، وأنّ إعادة الإسلام إلى كلّ مجالات الحياة، وإقامة النهضة الحقيقيّة للأمّة على أساسه شرطٌ ضروريٌّ في استعادتها لمجدها وكرامتها وإصالتها وتغلّبها على ما تواجه من مشاكل التخلّف والتمزّق والضياع، والمسلمون جميعًا يؤمنون بهٰذه الحقيقة، وفي مقدّمتهم الشيعة الإماميّة الّذين كانوا أبدًا في طليعة من حمل مشعل الإسلام وضحّى في سبيله، ولم يسقط الإمام أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام صريعًا في المحراب إلّا في سبيل الإسلام وتطبيقه، ولم يخرّ سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام صريعًا على أرض كربلاء الطاهرة إلّا في سبيل الإسلام ومن أجل تطبيقه» [النعمانيّ، شهيد الأمّة وشاهدها، ج 2، ص 103].

فكلّ جوانب حركته الإصلاحيّة الّتي قام بها كانت تهدف وتصبّ في تذليل العقبات لإقامة المدينة الفاضلة، وبناء أسسها وترميم ما يمكن ترميمه من القوانين الّتي تتّكئ عليها دولة كهٰذه، فكانت همومه تنطلق من رؤيته لتأسيس مبادئ الدولة الفاضلة والإسلاميّة، فكانت كتاباته في الأمور الاقتصاديّة بغضّ النظر عن عدالة الدولة وفسادها دليلًا على العموميّة الّتي حاول الشهيد الصدر الوصول إليها في الاقتصاد الّذي يعتبر اللبنة المهمّة والخطيرة في استمراريّة الدول وازدهارها؛ يقول السيّد علي أكبر الحائري في هٰذا الخصوص: «وأمّا في مجال الفكر الاقتصاديّ فإنّ السيّد الأستاذ الشهيد الصدر رضي الله عنه يعتبر بحقٍّ رائد الفكر الاقتصاديّ الإسلاميّ في العصر الحديث، حيث تناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصاديّة للماركسيّة والرأسماليّة والإسلام في أسسها الفكريّة وتفاصيلها، وبرهن على أنّ النظريّة الاقتصاديّة الوحيدة الّتي تصلح لإسعاد البشريّة هي النظريّة الاقتصاديّة الّتي يتبنّاها الإسلام... ولم يكتف رحمه الله في مجال الفكر الاقتصاديّ بما طرحه في كتاب

"اقتصادنا". بل قدّم أيضًا في المجال المذكور أبحاثًا أخرى لها أهمّيّتها الفائقة في توضيح أبعاد الفكر الاقتصاديّ الإسلاميّ، أو حلّ بعض المشاكل الاقتصاديّة من وجهة نظر الإسلام، من قبيل البحث القيّم الّذي قدّمه إجابةً على السؤال الّذي وجّه إليه من قبل "لجنة التحضير لبيت التمويل الكويتيّ"، فكان بحثًا علميًّا فريدًا من نوعه تحت عنوان "البنك اللاربويّ في الإسلام"» [الحائريّ، حياة الشهيد الصدر، ص 50 ـ 52].

وعند بيان أصول الثورة والسياسة أشار إلى ذٰلك بقوله: «ضرورة الإسلام اليوم تدعو إلى بعث الفكر الإسلامي بعثًا جديدًا يطهّره من تلك السموم المدسوسة، وينقّيه من تلك المفاهيم الاستعماريّة الدخيلة.

ومن أخطر تلك المفاهيم على كيان المسلمين ما نشأ في ظلّ العهد الاستعماريّ من مفهومٍ خاصٍّ للسياسة في ذهن عامّة الناس من الأمّة، وشجّع الاستعمار على تركيزه وتقويته، فإنّ السياسة الاستعماريّة لمّا كانت حاشدةً بالمكر والخديعة وزاخرةً بالختل والأكاذيب اتّخذت لها إطارًا مشوّهًا، فصار كثيرٌ من المسلمين لا يفهمون من السياسة إلّا الالتواء واغتصاب الحقوق وانتهاك حرمات الأمّة وكرامتها. ولمّا تركّز هٰذا المفهوم في أذهانهم انبثقت عنه فكرة التباين بين السياسة والإسلام، وصاروا ينظرون إلى السياسة كأنّها أبعد الأشياء عن واقع الإسلام وجوهره؛ لأنّ الإسلام دينٌ طاهرٌ من تلك الأدناس الّتي شاعت في الجوّ السياسيّ الموبوء على يد الاستعمار، ومن الطبيعيّ أن يكون مفهوم السياسة من أبعد المفاهيم عن الإسلام إذا كان معنى السياسة هو التلاعب والاحتيال. وقد ارتاح المستعمرون كلّ الارتياح لهٰذه المباينة الّتي قامت في فكر العامّة من الأمّة بين حقيقة الإسلام وواقع السياسة، وحاولوا أن يزيدوا في هٰذه الشقّة بينهما في الأذهان؛ لئلّا يحاول الإسلام بعد ذٰلك أن ينهض بالمسلمين على يد قادته المخلصين لمحاربة

الاستعمار، ومقاومة طغيانه السياسيّ والوقوف في وجهه، فركّزوا تلك المباينة وطوّروها وغذّوها على شكلٍ يحقّق لهم مصالحهم، ويحول دون نهضة الإسلام وانتفاضته، أو يقف عائقًا في الطريق على أقلّ تقديرٍ، ومفهوم المباينة هٰذا الّذي تبنّاه الاستعمار، وفصل به الإسلام عن السياسة في الأذهان، هو الّذي كان يعترض طريق علماء الإسلام، ويعيقهم عن تسجيل نجاحٍ حاسمٍ في معارضاتهم الحادّة لأقطاب الاستعمار والطغيان، بعد أن كانوا يخوضون الميدان قبل أن يخلق الاستعمار هٰذا المفهوم في الذهن العامّ، ويقودون الثورات التحريريّة على كلّ غزوٍ استعماريٍّ أو سياسةٍ استعماريّةٍ» [الصدر، ومضات، ص 305 و306].

فكانت خطواته واضحة المعالم مخطّطًا لها من البداية، وهٰذا لا يقوم على دعائم متهالكةٍ، بل على ركائز قويّةٍ متينةٍ حفرت في الأعماق لترتفع إلى السماء، وهٰذا ما يقوم به اليقين بالمعنى الأخصّ مع السلوك الموافق لهٰذا اليقين.

الخاتمة

تبيّن لنا في هٰذه المقالة أنّ هناك دورًا مهمًّا للفكر العقليّ البرهانيّ الفلسفيّ على سير الإنسان وسلوكه وإدارته لنفسه ولأسرته ولمجتمعه، وتبيّن تأثير هٰذا الفكر على السلوك في مختلف أنواع الإصلاحات منها الإصلاح السياسيّ، الّذي لم يأت من فراغٍ أو صدفةٍ، بل جاء من قراءةٍ صحيحةٍ للواقع، تبعها عملٌ على وفق تلك القراءة، وهٰذا ما نجده في فكر الإمام الخمينيّ والشهيد الصدر، ويمكن إجمال النتائج في النقاط التالية:

1ـ أنّ الفكر الفلسفيّ عبارةٌ عن التفكير العقليّ البرهانيّ الّذي ينتقل ضمن سلسلةٍ معرفيّةٍ مرتّبةٍ ترتيبًا طبيعيًّا، من المنطق إلى الفلسفة في سبيل

الحصول على منظومةٍ معرفيّةٍ نظريّةٍ متكاملةٍ.

2ـ هناك دورٌ مهمٌّ للفكر الفلسفيّ في اكتشاف الرؤى الكونيّة الواقعيّة، والّتي تعدّ بالتالي الأساس لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان (للعقل العمليّ)، فكلّما كان الإنسان مرتّبًا تفكيره بحسب الضوابط العقليّة العلميّة، يستطيع أن يصل إلى ما ينبغي أن يكون بصورةٍ واضحةٍ وصحيحةٍ، فهناك تأثيرٌ مهمٌّ في ترتيب الذهن والتفكير الفلسفيّ، وبين الحكمة العمليّة وما ينبغي أن يكون.

3ـ الّذي يرغب بالإصلاح لا بدّ له من أن يكون ذهنه مرتّبًا ترتيبًا عقليًّا منطقيًّا حتّى لا تفشل حركته الإصلاحيّة، فإنّ المصلح يريد تغيير الواقع إلى ما ينبغي أن يكون عليه، فإن لم يكن له أساسٌ علميٌّ فيما ينبغي أن يكون على نحو القطع واليقين، لا يمكنه الوصول إلى الإصلاح المراد.

4ـ ليس هٰذا الطرح مثاليًّا، بل له واقعيّةٌ؛ لذا أتينا بنموذجين عملاقين من علمائنا الأعلام الّذين غيّروا وأصلحوا في المجتمع، النموذج الأوّل لتطبيق الفكر الفلسفيّ على الإصلاح السياسيّ هو الإمام الخمينيّ الّذي حقّق حلم الأنبياء بثورته المباركة، وأقام دولةً إسلاميّةً، وكان من جملة الأمور الّتي امتاز بها عقلانيّته وفكره الفلسفيّ العقليّ. والشخصيّة الثانية الّتي سلّطنا الضوء عليها هو الشهيد محمّدباقر الصدر ﴫ، الّذي كان واضحًا في إصلاحاته الاقتصاديّة والفلسفيّة، سواءٌ البنائيّة منها أم المحتوائيّة، ودوره المهمّ في المجال السياسيّ في العراق خصوصًا، وفي المنطقة عمومًا.

قائمة المصادر

1. آل ياسين، جعفر، الفارابي في حدوده ورسومه، نشر: عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1405 هـ.
2. البقال، عبد الحسين، الشهيد الصدر الفيلسوف الفقيه، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية في إيران.
3. الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، نشر: ناصر خسرو، الطبعة الرابعة، طهران ـ إيران، 2001 م.
4. الحائري، علي أكبر، حياة الشهيد الصدر، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1991 م.
5. حب الله، حيدر، الإمام الخميني وهموم الإصلاح في الحوزة العلمية، مجلة المنهاج، العدد 42، صيف 2006 م.
6. الخميني، روح الله الموسوي، صحيفة الإمام، قرص ليزري من إنتاج مؤسسة نور.
7. الخميني، روح الله الموسوي، صحيفه نور، وصية الإمام الخميني شاملة لكل بيانات الإمام والرسائل والأحكام الشرعية.
8. سبحاني ، جعفر، الأبعاد العلميّة لشخصيّة الإمام الخمينيّ، مقال: http://alwelayah.net/post/12500
9. الصدر، محمدباقر، الإسلام يقود الحياة، إصدار وزارة الإرشاد الإسلاميّ، بمساعدة اللجنة التحضيريّة للمؤتمر العالميّ لأئمّة الجمعة والجماعة، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية، 1403 هـ.
10. الصدر، محمدباقر، رسالتنا، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصّصيّة للشهيد الصدر، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
11. الصدر، محمدباقر، ومضات، نشر: مركز الأبحاث والدراسات

التخصّصيّة للشهيد الصدر، الطبعة: الأولى، قم ـ إيران، 1423 هـ.
12. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، 2000 م.
13. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، السياسة المدنية، تحقيق فوزي متري النجار، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، 1964 م.
14. فريد جبر، سميح دغيم، رفيق العجم، جيرار جهامى، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، نشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1996 م.
15. القمي، عباس، مفاتيح الجنان.
16. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة.
17. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصححة، 1983 م.
18. النعماني، محمّدرضا، الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار، الناشر: منشورات إسماعيليان، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1996 م.
19. النعماني، محمدرضا، شهيد الأمّة وشاهدها، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصّصيّة للشهيد الصدر، قم ـ إيران، الطبعة الأول، 1412 هـ.